هلك سنة احدى وثمانين هذا ذكر من حضرنا من جملة السلطان ابي الحسن من اشياخنا هـ
واصحابنا وليس موضوع الكتاب الاطالة فلنقتصر على هذا القدر ونرجع الى ما كنا
فيه من اخبار المؤلف

ولاية العلامة بتونس ثم الرحلة بعدها الى المغرب والكتابة عن السلطان ابي عنان

لم ازل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا
بين دروس العلم وحلقاته الى ان كان الطاعون الجارف وذهب بالاعيان والصدور وجميع
المشيخة وهلك ابواي رحمهما الله ولزمت مجلس شيخنا ابي عبد الله الابلي وعكفت على القراءة
عليه ثلاث سنين الى ان شدوت بعض الشيء واستدعاه السلطان ابو عنان فارتحل اليه واستدعاني
ابو محمد بن تافراكين المستبد على الدولة يومئذ بتونس الى كتابة العلامة عن سلطانه ابي
اسحاق وقد نهض اليهم من قسنطينة صاحبها الامير ابو زيد حافد السلطان ابي يحيى في
عساكره ومعه العرب اولاد مهلهل الذين استنجدوه لذلك فاخرج ابن تافراكين سلطانه
ابا اسحاق مع العرب اولاد ابي الليل وبث العطاء في عسكره وعمر له المراتب والوظائف وتعلل
عليه صاحب العلامة ابو عبد الله محمد بن عمر بالاستزادة من العطاء فعزله وادالني
منه فكتبت العلامة عن السلطان وهي وضع الحمد لله والشكر لله بالقلم الغليظ ما بين البسملة
وما بعدها من مخاطبة او مرسوم وخرجت معهم اول سنة ثلاث وخمسين وقد كنت منطويا على
مفارقتهم لما اصابني من الاستيحاش لذهاب اشياخي وعطلتي عن طلب العلم فلما رجع
بنو مرين الى مراكزهم بالمغرب وانحسر تيارهم عن افريقية واكثر من كان معهم من الفضلاء
صحابة واشياخ فاعتزمت على اللحاق بهم وصدني عن ذلك اخي وكبيري محمد رحمه الله فلما
دعيت الى هذه الوظيفة سارعت الى الاجابة لتحصيل غرضي من اللحاق بالمغرب وكان
كذلك فانا لما خرجنا من تونس نزلنا بلاد هوارة وزحفت العساكر بعضها الى بعض
بفحص مرماجنة وانهزم صفنا ونجوت انا الى ابة فاقمت بها عند الشيخ عبد الرحمن
الوشتاتي من كبار المرابطين ثم تحولت الى تبسة ونزلت بها على محمد بن عبدون صاحبها فاقمت
عنده ليالي حتى هيأ لي الطريق وندرق لي مع رفيق من العرب وسافرت الى قفصة هـ
واقمت بها اياما اترصد الطريق حتى قدم علينا بها الفقيه محمد بن الرئيس منصور بن
مزني واخوه يوسف يومئذ صاحب الزاب وكان هو بتونس فلما حاصرها الامير ابو زيد
خرج اليه فكان معه ثم بلغهم الخبر بان السلطان ابا عنان ملك المغرب نهض الى تلمسان
فملكها وقتل سلطانها عثمان بن عبد الرحمن واخاه ابا ثابت وانه انتهى الى المدية وملك
بجاية من يد صاحبها الامير ابي عبد الله من حفدة السلطان ابي يحيى وكانت له عنده
ما اطلع على بلده فسار اليه ونزل له عنها وصار في جملته وولى ابو عنان على بجاية عمر
ابن علي شيخ بني وطاس من بني الوزير شيوخهم فلما بلغ هذا الخبر اجفل الامير
عبد الرحمن من مكانه على حصار تونس ومر بقفصة فدخل الينا محمد بن مزني ذاهبا
الى الزاب فرافقته الى بسكرة ودخلت الى اخيه هنالك ونزل هو ببعض قرى الزاب
تحت جراية اخيه الى ان انصرم الشتاء وكان ابو عنان لما ملك بجاية ولى عليها عمر بن
علي بن الوزير من شيوخ بني وطاس وجاء فارح مولى الامير ابي عبد الله لنقل حرمه وولده
فداخل بعض السفهاء من صنهاجة في قتل عمر بن علي فقتله في مجلسه ووثب هو على

البلد

البلد وبعث الى الامير ابي زيد يستدعيه من قسنطينة فتخشيت رجالات البلد فيما بينهم
خشية من سطوة السلطان ثم ثاروا بفارح فقتلوه واعادوا دعوة السلطان كما كانت
وبعثوا عن عامل السلطان بتدلس يحيى بن عمر بن عبد المؤمن شيخ بني ونكاسن
من بني مرين فملكوه قيادهم وبعثوا الى السلطان بطاعتهم فاخرج لوقته هـ
حاجبه محمد بن ابي عمرو واكتف له الجند وصرف معه وجوه دولته واعيان بطانته وارتحلت
انا الى بسكرة وافدا على السلطان ابي عنان بتلمسان فلقيت ابن ابي عمرو بالبطحاء وتلقاني من
الكرامة بما لم احتسبه وردني معه الى بجاية فشهدت الفتح وتسايلت وفود افريقية
اليه فلما رجع الى السلطان ووفدت معهم فنالني من كرامته واحسانه ما لم احتسبه اذ
كنت شابا لم يطر شاربي ثم انصرفت مع الوفود ورجع ابن ابي عمرو الى بجاية فاقمت عنده
حتى انصرم الشتاء اواخر اربع وخمسين وعاد السلطان ابو عنان الى فاس وجمع هـ
اهل العلم للتحليق بمجلسه وجرى ذكري عنده وهو ينتقي طلبة العلم للمذاكرة في ذلك
المجلس فاخبره الذين لقيتهم بتونس عني ووصفوني له فكتب الى الحاجب يستقدمني
فقدمت عليه سنة خمس وخمسين ونظمني في اهل مجلسه العلمي والزمني شهود الصلوات
معه ثم استعملني في كتابته والتوقيع بين يديه على كره مني اذ كنت لم اعهد مثله لسلفي هـ
وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من اهل المغرب ومن اهل الاندلس الوافدين
في غرض السفارة وحصلت من الافادة منهم على البغية وكان في جلته يومئذ الاستاذ
ابو عبد الله محمد بن الصفار من اهل مراكش امام القراءات لوقته اخذ عن جماعة من مشيخة
المغرب وكبيرهم شيخ المحدثين الرحالة ابو عبد الله محمد بن رشيد الفهري سيد اهل المغرب
وكان يعارض السلطان القران برواياته السبع الى ان توفي ومنهم قاضي الجماعة
بفاس ابو عبد الله محمد المقري صاحبنا من اهل تلمسان اخذ العلم بها عن ابي عبد
الله محمد السلاوي وورد عليها من المغرب خلوا من المعارف ثم دعته همته الى التحلي
بالعلم فعكف في بيته على مدارسة القران فحفظه وقراه بالسبع ثم عكف على كتاب
التسهيل في العربية فحفظه ثم على مختصري ابن الحاجب في الفقه والاصول فحفظهما
ثم لزم الفقيه عمران المشدالي من تلميذ ابي علي ناصر الدين وتفقه عليه وبرز في العلوم
الى حيث لم تلحق غايته وبنى السلطان ابو تاشفين مدرسة بتلمسان فقدمه للتدريس
بها يضاهي به اولاد الامام وتفقه عليه بتلمسان جماعة كان من اقرانهم سيما في العلوم
ابو عبد الله المقري هذا وعاصبا شيخنا ابو عبد الله الابلي الى تلمسان عند استيلاء
السلطان ابي الحسن عليها وكان ابو عبد الله السلاوي قد قتل يوم فتح تلمسان قتله
بعض اشياع السلطان لذنب سلفه في خدمة اخيه ابي علي بسجلماسة قبل انتحاله العلم
كان السلطان يحقد عليه فقتل بباب المدرسة فلزم ابو عبد الله المقري بعد مجلس
شيخنا الابلي ومجالس ابني الامام واستبحر في العلوم وتفنن ولما انتقض السلطان
ابو عنان سنة تسع واربعين وخلع اباه نزع الى كتاب البيعة فكتبها وقراها على الناس
في يوم مشهود وارتحل مع السلطان الى فاس فلما ملكها عزل قاضيها الشيخ المعمر ابا عبد
الله بن عبد الرزاق وولاه مكانه فلم يزل قاضيا بها الى ان سخطه لبعض النزعات هـ
الملوكية فعزله وادال منه بالفقيه ابي عبد الله الفشتالي اخر سنة ست وخمسين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)